الكمالات الروحية والجسمانية المؤهلة لمنصب الإمامة الإلهية في القرآن الكريم دراسة موضوعية تفسيرية

د. محسن كامل غضبان الخزاعي
جـامعة الكـفيل/ كليــة القــانون

الكمالات الروحية والجسمانية المؤهلة لمنصب الإمامة الإلهية في القرآن الكريم دراسة موضوعية تفسيرية

د. محسن كامل غضبان الخزاعي
جـامعة الكـفيل/ كليــة القــانون

توطئة:

تمثل العقيدة جوهر الخلاف القائم بين المسلمين منذ أمدٍ بعيد، وتتمحور نقطة الخلاف الرئيسية حول موضوع الإمامة الذي يُعدّ من أبرز المواضيع التي أدّت إلى احتدام الصراع الفكري بين بي على مرِّ التاريخ، بعد أنْ اختلفوا في طبيعة الحكم بعد النبي (ص)، وطريقة اختيار الحاكم، وشكل الصفات التي يتحلى بها، وما إلى ذلك من أوجه الخلاف، وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ التساؤل الذي ينبثق في ذهن الباحث هو: هل أنَّ منصب الإمامة في القرآن الكريم من المناصب الموهوبة بتنصيص رباني، أم هو من المناصب السياسية، والاجتماعية التي تعني السلطنة الظاهرية، وبناءً على هذا التساؤل المشروع فقد انقدحت في ذهن الباحث جملة من الفرضيات والتساؤلات ينوي التحقق منها عبر هذه الدراسة، ومن تلك الفرضيات:

١. هل أنَّ منصب الإمامة بعد النبي (ص) منصب رباني بجعلٍ من الله تعالى، أم هو منصب سياسي واجتماعي يُتَوَصَّلُ إلية عن طريق الترشيح.

٢. إذا كانت الإمامة هي خلافة النبي (ص) بعد وفاته فما آلية اختيار الإمام الذي يأخذ على عاتقه النهوض بأعباء الخلافة.

٣. إذا كان الغرض من الإمامة حفظ الشريعة، وتدبير شؤون الناس، فهذا يعني أنَّها شأنٌ اجتماعي، وعليه فلا داعٍ لأن يشرط بعض المسلمين أن تكون بالنصِّ والتعيين من الله تعالى.

٤. إذا سلَّمْنا بأنَّ الإمامة لا تكون إلاّ بالنص والتعيين من الله تعالى فهل ثمة ملاكات يجب توافرها للارتقاء إلى هذا المقام الإلهي.

٥. وإذا كان ثمة ملاكات فهل أشار القرآن الكريم إلى هذه الملاكات، وهل توجد شواهد قرآنية على تحققها في أوصياء الأنبياء (عليهم السلام).

وللإيفاء بهذه الفرضيات والتساؤلات العلمية التي تقوم عليها هذه الدراسة سيحاول الباحث الاجابة عنها استيفاءً لها، وعليه فقد انقسمت هذه الدراسة على مبحثين يسبقهما تمهيد بعنوان: (الإمامة بين التنصيص الإلهي والسلطنة الظاهرية)، فيما جاء المبحث الأول متناولاً: (الكمالات الروحية في القرآن الكريم)، أمّا المبحث الثاني فقد جاء على ذكر: (الكمالات الجسمانية في القرآن الكريم)، ثم ذُيل بخاتمة رصدت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، تلتها جريدة المصادر والمراجع، والله وليُّ التوفيق. الباحث

ملخص:

تناول هذا البحث أبرز الكمالات الروحية المؤهلة لنيل مقام الإمامة الإلهية بعد النبي (ص) الذي يعد من أكثر المسائل الحساسة في حياة المسلمين، بعد أن شطرتهم إلى شطرين كبيرين متنازعين، شطرٌ يرى: أنَّ الإمامة منصب رباني لا يكون إلاّ بالنصِّ والتعيين من الله تعالى، وشطرٌ يرى: أنَّ الإمامة لا تعدو كونها منصباً سياسياً وسلطنةً ظاهريةً.

وقد تناول البحث منشأ الخلاف بين المسلمين من منظور قرآني، مستعرضاً أبرز النظريات في تحديد طبيعة الحكم بعد رحيل النبي (ص)، يأتي في طليعتها نظرية التنصيص الإلهي القائلة: بأنَّ الإمامة إمرةٌ إلهية، وجعلٌ رباني، على حدِّ جعل النبوة والرسالة، فتكون بذلك أصلٌ من أصول الدين، ونظرية الشورى القائلة: إنَّ الخلافة عبارة عن رئاسة على الصعيد الديني والسياسي، ولأجل ذلك فلا يشترط فيها التنصيص الإلهي، ولا العصمة، ولا تعين شخوصها في الخارج، ولا حصرهم بعدد معين، ونظرية أهل الحل والعقد التي تقوم على اساس عقد نظام جماعة المسلمين على المستويات كافة، السياسية، والإدارية، والتشريعية، والقضائية وغيرها، وهو المقصود من مصطلح (العقد)، ثم حل هذا النظام إذ دعت الحاجة لسبب ما ليُعاد عقده من جديد وهو المقصود من مصطلح (الحل)، وقد ناقش البحث أدلَّة هذه النظريات بأسلوب محايد.

ومن ثمَّ حاول تسليط الأضواء على أهم الكمالات المؤهلة لمنصب الإمامة من منظور قرآني كالكمالات مثل: العبودية المطلقة لله تعالى، وبلوغ اعلى مراتب الصبر، والوصل إلى ارفع منازل اليقين، واستحقاق هبة العصمة الإلهية: كما سلط الأضواء على الكمالات الجسمانية وضرورة سلامة ابدان الأنبياء والأوصياء من المنفرات.

Human luxuries qualified for the position of divine Imamate in the Koran

Objective explanatory study

Summary:

This research dealt with the most important human luxuries that qualify for the position of the Divine Imamate after the Prophet k, which is one of the most sensitive issues in the life of Muslims. : The Imamate is merely a political office and a virtual sultanate.

The research dealt with the origin of the dispute between Muslims from a Quranic perspective, reviewing the most prominent two theories in determining the nature of governance after the departure of the Prophet: Shiite theory, which believes that the imamate is a divine command, and make the Lord, to the extent of making the prophecy, and thus the origin of religion, and the Sunni theory that : The caliphate is a presidency at the religious and political level, and for this it does not require the divine quotation, nor infallibility, and does not appoint its people abroad, nor limited them to a certain number, the research has discussed the evidence of both theories in a neutral manner.

Then he tried to shed light on the most important perfumes that are qualified for the position of Imamate from a Quranic perspective such as spiritual perfection in the Qur'an such as: absolute slavery of God, reaching the highest levels of patience, and reaching the highest homes of certainty, and the merit of the gift of divine infallibility. Scientific sources in the koran such as: dumping in the heart and soul of God, and spiritual and moral connection to the unseen world, and knowledge of the heavenly books.

التمهيد

(الإمامة بين التنصيص الإلهي والسلطنة الظاهرية)

تُعدُّ مسألة تحديد نوع الحكم بعد رحيل النبي الأكرم (ص) من أكثر المسائل الحساسة في حياة المسلمين، فقد شطرتهم إلى شطرين كبيرين متنازعين، شطرٌ يرى: أنَّ الإمامة منصب رباني لا يكون إلاّ بالنصِّ والتعيين من الله تعالى، وشطرٌ يرى: أنَّ الإمامة لا تعدو كونها منصباً سياسياً وسلطنةً ظاهريةً، وهكذا فقد تفاقم الخلاف بينهم إلى حدٍّ إراقة الدماء، حتى قال الشهرستاني في (الملل والنحل): "وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينية في كل زمان مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان"[1]، وعليه سيناقش البحث منشأ الخلاف من منظور قرآني، واختلاف مفهوم الإمامة بين المبدأ التنصيصي والمبدأ الشوري، ثم يحاول مناقشة كلا الرأيين.

أولاً: منشأ الخلاف من منظور قرآني:

يرى الباحث أنَّ القرآن الكريم أومأ إلى سبب اختلاف الإمة وتشعبها، وانقسامها، وعزاه إلى اختلافهم حول منصب الإمامة المُعَبَّرُ عنه في القرآن الكريم بمفهوم (ما أنزل إليك من ربك)، فلو تأملنا قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}**[2]، نجد أنَّ هذه الآية نزلت في أُخريات حياة النبي (ص)، وهي من منظور اتباع آل البيت (عليهم السلام) نزلت بحق علي (ع) إذ يرون أنَّ "لها نفساً خاصاً يميزها عما قبلها وعما بعدها من آيات، إنها تتوجه بالخطاب إلى رسول الله (ص) وحده وتُبيِّن له واجبة فهي تبدأ بمخاطبة الرسول:

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} وتأمره بكل جلاء ووضوح أن {بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} ، ثم لكي يكون التوكيد أشد وأقوى تحذره وتقول: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ }، ثم تطمئن الآية الرسول (ص) وكأنَّ أمراً يُقْلقُهُ وتطلب منه أن يُهَدِّئ من روعه وأن لا يخشى الناس: فيقول له: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}"[٣].

فالآية بحسب عقيدة أتباع آل البيت (عليهم السلام) وجمعٌ ممن يشاطرهم الرأي نزلت في حادثة غدير خم، وهي تأمر رسول الله (ص) بتنصيب علي (ع) خليفة من بعده، وقد أكَّدت هذا المعنى جملة من الروايات من طرق العامة والخاصة[٤]، وعليه يكون ما أُنزل إلى النبي (ص) من ربِّه هو منصب الإمامة الذي يؤشر الى تحديد صيغة الحكم من بعده.

بينما يرى أتباع المدرسة الأخرى أنَّ قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} نزل بعد ما استهزأ اليهود بالنبي (ص) وكذَّبوه حين دعاهم إلى الإسلام، ولّما رأى منهم ذلك سكت عنهم، فأمره الله تعالى أن يدعوهم إلى الإسلام ولا يمنعه عن ذلك تكذيبهم واستهزاؤهم به، فقال له: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ...} أي الذي أُنزل من القرآن {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ } بمعنى أنَّك إن لم تُبَلِّغ جميع ما أُنزِل إليك {فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}، أي كأنَّك لم تُبَلِّغ شيئاً من رسالته، بوصفه مأمور بتبليغ جميع الرسالة فإذا ترك بعضاً منها صار بمنزلة التارك للكل[٥].

ثم لو تأملنا الآية التي بعدها مباشرة لرأينا انَّها تجعل من عنوان (ما انزل اليك من ربك)، سبباً في اختلاف الأمة، وتفرق كلمتها، قال تعالى بعد آية البلاغ: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[٦]، فقد جعلت الآية المباركة سبب الانقسام

والفرقة بين المسلمين: مفهوم (ما أنزل اليك من ربك)، إذ أكَّد القرآن الكريم بشكل لا لَبْسَ فيه أنَّ الذي زادهم طغياناً وكفراً هو ما انزل إلى النبي (ص) من ربه، وبضميمة هذه الآية لما قبلها يتبيَّن أنَّ ما أنزل إليه من ربه هو ولاية علي (ع) التي تعني الإمامة بحسب الفهم المتقدم، الأمر الذي فاقم الخلاف بين أكبر طائفتين من طوائف المسلمين وأوصلهم إلى حدَّ التقاتل والتقاطع والتدابر، ولو أنَّهم حكَّموا النصوص من الكتاب والسنة في حسم خلافاتهم لذابت تلك الخلافات بينهم، لذا قال تعالى: **{يَا أَيّهَا الّذينَ آمَنوا أَطيعوا اللّهَ وَأَطيعوا الرّسولَ وَأولي الأمر منكم فَإن تَنَازَعتم في شَيء فَردّوه إلَى اللّه وَالرّسول إن كنتم تؤمنونَ باللّه وَاليَوم الآخر ذَلكَ خَيرٌ وَأَحسَن تَأويلاً}**[٧]، وحكمُ الرد لا ينحصر بحضور الرسول (ص) فحسب، بل يشمل الرد حتى في غيبته بدلالة الإطلاق في الآية، فالرد إلى الله تعالى يعني الاحتكام إلى القرآن، والرد إلى الرسول (ص) هو ردٌ إليه في حياته، وإلى سنَّته بعد مماته، وهو مختصٌ بحال تنازع المؤمنين لقوله: **{فَإن تَنَازَعتم في شَيء}**.

ثانياً: الإمامة من المنظور الشيعي:

يعتقد أتباع أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ الإمامة إنّما هي إمرةٌ إلهية، وجعلٌ رباني، على حدٍّ جعل النبوة، وعليه فهي عندهم أصلٌ من أصول الدين؛ لذا قال الشيخ محمد رضا المظفر: "نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عَظُمُوا وكَبُروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة"[٨].

ولأجل ذلك لم تهمل الشريعة هذا الأصل الذي تتوقف عليه ديمومة الدين، وتدرأ به الشبهات، فقد وضَّحته بالعبارة تارة وبالتلويح

والإشارة تارة أخرى، وقد استدلَّ أتباع أهل البيت (عليهم السلام) على مبدأ الجعل الإلهي في الإمامة بنصوص كثيرة، منها على سبيل المثال قوله تعالى: {**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}[٩]، فالآية من منظور اتباع آل البيت (عليهم السلام) فيها من الوضوح ما يكفي للاستدلال على مفهوم الإمامة والعصمة في كتاب الله العزيز. ومما تجدر الاشارة إليه أنَّ القرآن الكريم استعمل الاصطلاح نفسه الذي استعمله في النبوة، وهو اصطلاح (جاعل، وجعلنا) كما في قوله تعالى: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**}[١٠]، وقوله تعالى لداوود (ع): {**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**}[١١].

وفضلاً عما تقدم يذكر القرآن الكريم في مجموعة أخرى من آياته ما يدل على الاتجاه الذي يؤكد مبدأ التنصيص في الإمامة، مثل قوله تعالى في سورة القصص: {**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**}[١٢]، وقوله: {**وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**}[١٣]، وقوله جلَّ وعلا في سورة الفرقان: {**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**}[١٤]، وما إلى ذلك من النصوص التي سيأتي البحث على ذكرها في المباحث اللاحقة التي تؤكد بأجمعها على أنَّ صيغة الحكم إنّما هي صيغة تنصيصية على غرار حكومة النبي الأكرم (ص)[١٥].

ثالثاً: الإمامة من منظور مبدأ الشورى:

في قبال عقيدة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بمفهوم الإمامة يوجد تصور آخر لهذا المفهوم، مفاده: إنَّ الخلافة عبارة عن رئاسة على الصعيد الديني والسياسي، ولأجل ذلك فلا يشترط فيها التنصيص الإلهي، ولا العصمة، ولا تعين شخوصها في الخارج، ولا حصرهم بعدد معين، بل يشترط في الإمام القدرة على التدبير، وأداء الوظائف المناطة به التي أجملها الماوردي بعشر مسؤوليات[١٦]، ولازِمُ هذا الاعتقاد يكون منصب الإمامة من المناصب السياسية والاجتماعيةً، وعليه تكون الإمامة من فروع الدين لا من اصوله، لذا قال الإيجي: "وهي عندنا من الفروع وإنما ذكرناها في علم الكلام تأسياً بمن قبلنا"[١٧]، وقال سعد الدين التفتازاني: "لا نزاع في أنَّ مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق لرجوعها إلى أن القيام بالإمامة ونصب الإمام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروض الكفايات، ولا خفاء أن ذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية"[١٨].

وعليه فهي تندرج عندهم ضمن مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنَّ إشاعة الفضائل وتحجيم دور الرذائل يتوقف على وجود إمامٍ عادلٍ مبسوط اليد يتمتع بنفوذ واسع، ولذلك كان لزاماً على الأمة نصبُ إمامٍ عادل كي يحقق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٩].

وتأسيساً على ذلك ساد اعتقادٌ لدى اتباع مدرسة الخلفاء مفاده أنَّ النبي (ص) مات ولم ينصب خليفة من بعده وإنما ترك الأمر إلى الأمة لتختار الاصلح في تدبير شؤونها، بيد أنَّ هذا التصور يواجه مشكلة حقيقية تتمثل في أنّهم لم يعتمدوا في اقامة دعائم هذه النظرية على دليل قرآني، أو سنة نبوية، إذ "لا يوجد في مجموع ما بأيدينا من الكتاب والروايات

المروية في الصحاح والمسانيد شيء يرسم الخطوط العريضة لنوع الحكومة وأركانها وخصائصها وصفات الحاكم وبرامجه"[٢٠]، مع أنَّ النبي (ص) تكلم في أبسط الأمور ذات المساس المباشر بحياة الناس، فضلاً عن أخطرها، وهذا أمرٌ واضح بيِّنٌ لكل من طالع الصحاح والمسانيد[٢١]، الأمر الذي اوقع اصحاب هذه النظرية في معضلة كبيرة حاولوا جاهدين حلَّ عقدتها وذلك عن طريق رسم الخطوط العريضة لنظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، تمثل باسم الشورى تارة، وباسم أهل الحل والعقد تارة اخرى.

فمن اتخذ الشورى اساساً للحكم استدل بقوله تعالى: {**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**}[٢٢]، لكن يرد على هذا الاستدلال أنَّ الخطاب في هذه الآية موجه إلى الحاكم بعد أن صار حاكماً فعلاً، ثمَّ أمره تعالى بمشاورة افراد الأمة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالآية "من حيث النزول ترتبط بواقعة أحد لأنه بعد رجوع المسلمين من أحد أحاط الأشخاص الذين فروا من المعركة برسول الله (ص) وأظهروا له الندامة من فعلتهم وموقفهم، وطلبوا منه العفو فاصدر الله سبحانه إلى نبيه (ص) أمره بأن يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيِّئهم ويستقبل المخطئين التائبين منهم"[٢٣]، فقال تعالى لنبيه (ص): {**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**}، وعليه فلا وجه للاستدلال بهذه الآية على تشخيص طبيعته الحكم بعد النبي (ص).

كما استدل اصحاب نظرية الشورى بقوله تعالى: {**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**}[٢٤]، ويرد على هذا الاستدلال أيضاً "أن الآية تأمر بالمشورة في

الأمور الموضوعة على عاتق المؤمنين، فلا بد أن يحرز أن هذا الأمر (تعيين الإمام) أمرٌ مربوط بهم، فما لم يحرز ذلك لم يجز التمسك بعموم الآية في مورده"[٢٥]، لأنَّ الإمامة ليس من أمرهم، وإنّما هي من أمر الله تعالى، وهذا ما ستبيِّنه الأبحاث اللاحقة إنْ شاء الله تعالى.

رابعاً: الإمامة على وفق مذهب أهل الحل والعقد:

وهناك مذهب آخر يرى انعقاد الإمامة باختيار أهل الحل والعقد، وهم العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يُرجَعُ إليهم في المصالح العامّة، وتقوم هذه النظرية على عقد نظام جماعة المسلمين على المستويات كافة، السياسية، والإدارية، والتشريعية، والقضائية وغيرها، وهو المقصود من مصطلح (العقد)، ثم حل هذا النظام إذ دعت الحاجة لسبب ما ليُعاد عقده من جديد وهو المقصود من مصطلح (الحل)[٢٦].

غير أنَّ اصحاب هذه النظرية لم يحدِّدوا عدد من تنعقد بهم بيعة الإمام، فمنهم من قال: لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد من كل بلد، وكما هو معلوم فإنَّ هذا المذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة، إذ لم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها، ومنهم من قال: أقل من تنعقد به الإمامة خمسة، وهذا أيضاً مدفوع ببيعة عمر إذ إنَّها جرت بالتنصيب، وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنين، وبعضهم قال: تنعقد بواحد لأن العباس قال لعلي: أمدد يدك أبايعك[٢٧]، وما إلى ذلك من الأقوال، الأمر الذي يجعل هذا المذهب غير واضح المعالم في تحديد صيغة الحكم بعد النبي (ص).

خامساً: مناقشة وتحليل:

لو انعتق الباحث من أسر العقيدة، وتحرَّرَ من قيود الطائفة والمذهب، ونظر بموضوعية إلى واقع الأمة الاسلامية قُبَيْلَ وفاةِ النبي (ص) لتبين له

جلياً أنَّ فكرة تفويض أمر الإمامة للأمة الإسلامية بعد رحيل النبي (ص) فكرة هزيلة لا تملك أدنى رصيد من الموضوعية، لأنَّ الأمة الاسلامية كانت مهددة بخطرين أحدهما خارجي والآخر داخلي، فالخطر الخارجي متمثل بالإمبراطورية الرومانية، والفارسية، أمّا الخطر الداخلي فيتمثل بمعسر النفاق المتغلغل في صفوف المسلمين.

وعليه فنظرة بسيطة تظهر لنا حجم هذين الخطرين الذين كانا يتجاذبان السيادة على العالم، فكانت الدولة البيزنطية تسيطر على بعض مناطق الجزيرة العربية، وقد كان ميزان القوة يمضي لصالحها وهو ما اظهرته المعارك الطاحنة التي دارت بين الروم والمسلمين في السنة الثامنة من الهجرة على بعد قتلهم الحارث بن عمير الازدي رسول النبي (ص) ، وعلى أثر ذلك جهَّزَ رسول الله (ص) جيشاً بقيادة جعفر بن ابي طالب لقتال الروم، إلاّ أنَّه لم يفلح في صدِّ خطرهم وعاد جيش المسلمين مهزوماً بعد استشهاد قادته الثلاث، جعفر، وعبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة[٢٨]، ولم يكتف رسول الله (ص) بهذه الحملة بل جهز جيشاً في أخريات حياته بقيادة اسامة بن زيد ووجهه إلى الروم ولعن من تخلف عنه[٢٩]، الأمر الذي يكشف أنَّ هذه الإمبراطورية كانت تشغل بال النبي (ص) إلى أخريات حياته.

وأما الدولة الفارسية فقد أنِفَ امبراطورها خسرو برويز من دعوة النبي (ص) له إلى الاسلام، وعمد إلى تمزيق كتابه، وأمر عامله على اليمن "أن ابعث الى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به[٣٠]، فكانت هذه الدولة تترصد النبي (ص)، وتتحيَّن الفرصة للانقضاض على الإسلام.

وأما من الداخل فقد كان المجتمع الاسلامي يواجه خطراً كبيراً بما يعرف اليوم بالطابور الخامس يتمثل بخط النفاق، فقد كان المجتمع الاسلامي يزخر بالمنافقين الذين بلغ خطرهم درجة أصبحت تهدد كيان الدولة الاسلامية عبر اتاحتهم الفرصة لإعداء الاسلام الذين كانوا يتربصون به الدوائر للنيل من الدعوة وصاحبها، ولأجل ذلك تحدث القرآن الكريم عنهم في أكثر من مورد محذراً من خطرهم، ومؤكداً بأنَّهم هم العدو الحقيقي للإسلام، قال تعالى: {**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**}[٣١]، وفي مورد آخر ذكر القرآن أنَّهم متآمرون يُبيِّتُونَ خلاف ما يظهرون بقوله: {**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**}[٣٢]، كما انَّ القرآن أكَّد أنَّهم يضمرون الشر للمسلمين بإذاعتهم الشائعات بغية تثبيط العزائم بقوله: {**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ**}[٣٣]، فضلاً عن انَّهم كانوا يريدون الفتنة عبر قلب الحقائق، والأمور لقوله تعالى: {**لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**}[٣٤]، فكانوا لا يرتدعون عن أي عمل يحقق لهم مصالحهم المضادة لمصالح الاسلام ولو عبر التحالف مع المشركين والكفار من أهل الكتاب وغيرهم وقد ذكر ذلك القرآن عنهم بقوله: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**}[٣٥]، وما إلى ذلك من الموارد التي تؤكد أنَّ الخطر الحقيقي إنَّما يكمن بوجود المنافقين، ولأجل ذلك شدَّدَ تعالى على

عذابهم يوم القيامة اكثر من أي جماعة أخرى إذ قال: {**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**}(٣٦).

وقد حال وجود رسول الله (ص) بين المسلمين دون تنفيذ مخططاتهم الرامية لضرب الدين، ولولا ذلك لأتوا على الدين ولقضوا على تعاليمه عبر تحالفهم من اعداء الاسلام، لذا كان احتمال تحالف هذه الفئة مع الخطر الخارجي احتمال وارد بنسبة كبيرة جداً، ليعمل هذا المثلث من الفرس والروم والمنافقين على محو الاسلام، وهدم كل ما جاء به النبي (ص).

وبعد أن تبين لنا حجم الخطر الذي يتهدد الدعوة الإسلامية من الخارج والداخل هل يعقل ــ والحال هذه ــ أن يترك النبي (ص) مصير الدعوة الاسلامية تتنازعه الاطماع والأهواء دون أن يضع الضمانة اللازمة للحفاظ عليها من الخطر الذي يهدد كيانها، وهل يجوز لقائد يهتم ببقاء دينه وأمته أن يترك امراً عظيماً كهذا للصدفة وتقلبات الأحوال، أم هل يعقل من قائد جاء بأهم الرسالات السماوية على الاطلاق أن يترك أمراً له دخالة مباشرة في حفظ الدين لأمة نشأت اصلاً على الخلاف والاختلاف والنعرات القبلية، والأعراف الجاهلية، فمطالعة بسيط لما حدث في سقيفة بني ساعدة توقف طلاّب الحقيقة على عمق الخلاف والاختلاف بين المسلمين بعد ان سارعت كل قبيلة إلى ترشيح نفسها، ومن أراد الوقوف على ذلك فليراجع ما ذكره بن هشام في السيرة النبوية من اختلاف الكلمة وعدم الاتفاق على شخص معين(٣٧).

وعليه ومن منطلق ما تقدم يتعين أن يكون مبدأ التنصيص الإلهي أكثر مقبولية من مبدأ الشورى، ومن نظرية أهل الحلِّ والعقد، لذا قال بن سينا: "الاستخلاف بالنص أصوب، فإنَّ ذلك لا يؤدي إلى التشعب

والتشاغب والاختلاف"[٣٨]، كما يجب أن يحمل الإمام ذات الصفات التي يحملها النبي (ص) من الكمالات الروحية، والعلمية، وغيرها، التي سوف يأتي البحث على ذكرها في المباحث اللاحقة أن شاء الله تعالى.

المبحث الأول
(الكمالات الروحية في القرآن الكريم)

مدخل:

دلَّت النصوص الشرعية على أنَّ الحاكم الرباني يجب أن يتصف بصفات يتمكن بها من تحقيق العدالة بين الناس، فهو "ليس مجرّد من يأخذ بزمام الجماعة كيفما كان، ويأمر وينهى بما تشتهيه نفسه، ويحكم على الناس لمجرّد السلطة وشهوة الحكم، بل هو ذو مسؤوليّة كبيرة وثقيلة"[٣٩]، تحدث عنها القرآن بقوله: { **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكَرِ وَلله عَاقِبَةُ الأُمُورِ**}[٤٠]، مما يعني أنَّ الحاكم يجب أنْ يكون منصَّباً من الله تعالى ليؤدي وظيفة هي بالأساس من مختصات الذات الإلهية عهد بها إلى الصفوة من خلقه، فلا بدَّ ــ والحال هذه ــ من أنْ يتمتع بلياقات وكمالات يستحق بها الارتقاء إلى هذا المنصب الرباني[٤١].

لذا كان من بين تلك الكمالات ما يتصل بالروح وهي الجانب الملكوتي من تركيبة الإنسان بوصف أنّه مركب من روح وجسد، فالجسد يمثل الجزء الارضي وهو مزوَّد بقوةِ الوَهْم، والشْهوَةِ، والغضَبِ، وأمّا الروحُ فهي تمثل الجزء الملكوتي المزوَّد بقوَّة العقل الذي يعمل على تنمية الكمالات الإنسانية فيرتقي بها لتؤهل الإنسان إلى خلافة الأرض، ولا

تتكامل هذه الكمالات ما لم تتطابق إرادة الإنسان مع إرادة الله تعالى، وذلك عن طريق المنهج الرباني الذي رَسَمَهُ الله تعالى لعباده، من العبادة، والصبر، واليقين، واستشعار الرقابة الإلهية، والارتباط الروحي بالملكوت الأعلى، وما إلى ذلك من الكمالات التي سيأتي البحث على ذكرها تباعاً:

اولاً: العبودية لله تعالى:

للعبودية في الإسلام مكانة خاصة، ومنزلة رفيعة، بوصفها غاية وجود الإنسان لقوله تعالى: { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}(٤٢)، لأنَّ العبادة ضابطة لتصرفات الإنسان، ومن ثمَّ الوصول إلى أعلى درجات الكمال، لذا أمر بها عباده الصالحين، بقوله: {**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**}(٤٣)، وقال أيضاً: {**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**}(٤٤)، وبها أرسل الله تعالى جميع أنبيائه (عليهم السلام)، فقد قال: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**}(٤٥).

فالغاية إذن من وجود الإنسان هي العبودية بمدلولها الواسع، بوصفها الطريق إلى بلوغ مرتبة اليقين، لقوله تعالى: {**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**}(٤٦)، "وغاية اليقين الاخلاص"(٤٧)، والاخلاص سرٌ من اسرار الله تعالى، وبه تتفاضل مراتب المؤمنين من حيث القرب من الله تعالى(٤٨).

تجدر الاشارة إلى أنَّ القرب هنا لا يراد به القرب المادي قطعاً؛ لأنَّ الله تعالى منزهٌ عند الجسمية، وإنَّما المراد هو القرب المعنوي، الذي يعني الاقتراب من صفاته تعالى: {**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**}(٤٩)، لذا نجد هذه الصفات تجسَّدت ببعض

عباده، فصفة الخالق مثلاً، والشافي، والمحيي تجلت بعيسى (ع) لقوله تعالى: {**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**}(٥٠)، وصفة الرحيم بكل ابعادها تجلت بالنبي الأكرم (ص) ، فقد وصفه تعالى بقوله: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**}(٥١)، وتجلى جماله بيوسف (ع)، وما إلى ذلك من الصفات، التي ترجمها الإمام الباقر (ع) بقوله: "نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يُقْبَلُ من أحدٍ إلّا بمعرفتنا"(٥٢).

فالعبودية إذن مرتبة من مراتب الأولياء، ومُؤهِّل من مُؤهِّلات الاصطفاء، فتشهدنا في الصلاة بالقول: " اشهد أن لا إله إلاّ الله واشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله"، مشعرٌ أنَّه بعبوديته صار رسولاً، لا برسالته صار عبداً، ويتأكد هذا المعنى أكثر في قوله تعالى: {**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ**}(٥٣)، وفي قوله سبحانه: {**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**}(٥٤)، وهنا جُعلت العبودية ملاكاً لاصطفاء هؤلاء النفر من المؤمنين، وقوله تعالى في مريم (عليها السلام): {**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**}(٥٥)، ولا يخفى أنَّ عبادة مريم (عليها السلام)، وطهرها، ونسكها وصل إلى حدٍ اعتزلت فيه قومها واتخذت من دونهم حجاباً، فكان ذلك ملاكاً في اصطفائها.

ومن هذا المنطلق كانت ملكة العبادة من أبرز الملاكات اللازمة للارتقاء إلى منصب الإمامة، وشرطاً من شروط بلوغها، قال تعالى: {**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ**

الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}[٥٦]، فالآية تثبت أنَّ مقام الإمامة هو مقامٌ جعليٌّ موهوبٌ من الله تعالى؛ لأنه يعني: "القيادة العامة الشاملة لكل الجوانب المادية والمعنوية، والظاهرية والباطنية، والجسمية والروحية للناس"[٥٧]، وهذه القيادة لا بدَّ أن تكون ناظرةً إلى توفُّر ملاكاتها.

ومما تجدر الاشارة إليه أنَّه تعالى قيَّد لفظ الهداية بـ (الأمر)، "والأمر هو الذي يُبَيِّنُ حقيقتُهُ ما ورد في قوله تعالى: {**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**}[٥٨]، وقوله: {**وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**}[٥٩]، وهذا الأمر يعني عالم الملكوت المتحررِ من قيود الزمان والمكان، المُنْعَتِقُ من شروط المادة، الذي يحصل دفعة واحدة بمجرد إرادته، والمراد بكلمة (كُنْ)، وهذا يعني انَّ الإمام شخصٌ هادي بأمرٍ ملكوتي، الأمر الذي يكشف أنَّ لمعنى الإمامة حقيقة ملكوتية، وراء حقيقة النبوة، ووراء حقيقة الرسالة، فهي الهداية الملكوتية النابعة من العلم والقدرة، والرابطة التكوينية بين الخالق والمخلوق[٦٠].

ثم يذكر القرآن الكريم ثمرة هذا الجعل، فيقول: {**يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ**}، والملاحظ أنَّ القرآن الكريم لم يقل: وأوحينا لهم أن اعملوا الخيرات، وإنّما قال واوحينا لهم فعل الخيرات، فالقول الأول لا يدلُّ على وقوع الفعل وتحققه في الخارج، وأمّا القول الثاني فهو يدل على أن ما فعلوه من الخيرات إنما هو بوحي باطني وتأييد سماوي، وهذا يعني أنَّ افعال الامام خيرات يهتدى إليها لا بهداية من غيره بل باهتداء من نفسه بتأييد إلهي، وتسديد رباني[٦١].

وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة في آية أخرى هي قوله تعالى: {**أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**}[٦٢]، فقد قابلت الآية المباركة بين من يهدي إلى الحق ومن لا

يهدي، "وهذه المقابلة تقتضي أن يكون الهادي إلى الحق مهتدياً بنفسه، إنَّ المهتدي بغيره لا يكون هادياً إلى الحق البتَّة، ويستنتج من هنا أمران: "أحدهما أنَّ الإمام يجب أن يكون معصوماً عن الضلال والمعصية وإلا كان غير مهتدي بنفسه ...، والثاني عكس الامر الأول وهو من ليس بمعصوم فلا يكون إماماً هادياً إلى الحق البتَّة"(٦٣).

وتأسيساً على ما تقدم يتضح انَّ الملاك في الإمامة المجعولة من الله تعالى ملاك العبودية لقوله تعالى: {**وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**}، فالنص: "يدل بظاهره على أنَّهم كانوا قبل ذلك عابدين لله، ثم أُيِّدوا بالوحي، وبيَّن أنَّ عبادتهم لله إنَّما كانت بأعمال شَرَعَها لهم الوحي المشَّرع قبلاً"(٦٤)، وقد ذكر السيد العلامة أنَّ الوحي المتعلق بفعل الخيرات إنّما هو وحي تسديد وليس وحي تشريع، ثم انتهى إلى نتيجة مفادها: أنهم كانوا مؤيَّدين بروح القدس والطهارة، مُسَدَّدينَ بقوة ربانية تدعوهم إلى فعل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة(٦٥).

ثانياً: بلوغ مرتبة الصبر بمفهومه العام:

يُعدُّ الصبر من أبرز الأخلاق والفضائل التي أكَّدها القرآن الكريم بما لا مزيد عليه، وترجع عناية القرآن بهذه الفضيلة لما لها من أهمية كبيرة في حياة الإنسان، بوصفه مفتاح سعادته، وحبل نجاته من المهالك، إذ أنَّه يزود الانسان بوقود الارادة، ويحرك عنده العزيمة والاصرار، فعن أبي جعفر الباقر (ع) أنَّه قال: "الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات الشهوات، فمن أعطى نَفْسَهُ لذتها وشهواتها دخل النار"(٦٦)، فلو نظرنا إلى مراتب الكمالات الإنسانية لرأينا أنَّها منوطة بالصبر، فالحِلْمُ صَبرٌ عن الاستسلام لثورة الغضب، والعفَّةُ صبرٌ عن إجابة نداء الشهوة، والعفو صَبْرٌ عن

الاستسلام لداعي الانتقام، وما إلى ذلك من الكمالات، فما من فضيلة إلاّ وهي فرع الصبر، وما منْ رذيلة إلاّ وهي فرع العجلة والتهوُّر.

والآيات الواردة في فضيلة الصبر تخْرُجُ عن حد الاستقصاء، فقد دار الحديث عنه بما يربو على السبعين موضعاً قرآنياً، فضلاً عن الأخبار المادحة له التي تجعله بمثابة الرأس من الجسد، فعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الصبر من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان"[٦٧].

وتجدر الاشارة أنَّ كلَّ الفضائل جُعل أجرها بتقدير وحساب ما خلا الصبر فإنَّ أجره خارج موازين التقدير والحساب لقوله تعالى: **{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}**[٦٨]، وهذا دليل على عِظَمِ هذه الفضيلة، وأهمية هذه الملكة في حياة الإنسان.

ومن منطلق أنَّ الصبر ليس على درجة واحدة فقد قسَّمَ علماء الأخلاق هذه الملكة على ثلاث مراتب هي: الصبر على الطاعة: وذلك بمقاومة المغريات التي تعتري طريق الطاعة، قال تعالى مخاطباً نبيه الأكرم (ص): **{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}**[٦٩]، والصبر على المعصية: وتعني قوة الإرادة الثبات أمام مغريات الشهوة، والصبر على المصيبة، الذي يعني الصمود بوجه الحوادث، والتسليم لقضاء الله وقدره، وقد وصف القرآن الكريم هذه المراتب بأنها من عزم الأمور، كما في قوله: **{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}** [٧٠]، [٧١]، وبهذا تبيِّن الآية أنَّ الصبرَ منزلةَ الأولياء، ووصية الحكماء، وهو: "مقام من مقامات الموحدين، وبه ينسلك العبد في سلك المقربين، ويصل إلى جوار رب العالمين، وقد أضاف الله أكثر الدرجات والخيرات إليه"[٧٢].

ومن هذا المنطلق فإنَّ من ابرز الدرجات المضافة إليه درجة الوصول إلى مقام الإمامة الإلهية، وهو ما يظهر جلياً في ابتلاءات إبراهيم (ع)، وصبره عليها، فكان صبرُهُ مؤهلاً للارتقاء إلى منزلة الإمامة، فقد قال تعالى: {**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}(٧٣)، والكلمات في الآية الكريمة هي الابتلاءات، فقد روي عن الإمام الصادق (ع) أنّه فسّر الكلمات بالابتلاءات التي اصابت إبراهيم (ع) بقوله: "أنّه ما ابتلاه الله به في نومه منْ ذَبْحِ وَلَدِه إسماعيل فأتمّها إبراهيم وَعَزَمَ عليها وسلَّم، فلما عزّمَ وَعَمِلَ بما أمرَهُ الله تعالى قال الله تعالى: {**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**}"(٧٤)، ولا شكَّ أنَّ هذا النوع من الابتلاء يتطلب التحلي بأعلى درجات الصبر والتسليم لأمر الله تعالى، والرضا بقضائه، وهو ما منح إبراهيم اللياقة لنيل منصب الإمامة الإلهية.

وعليه يمكن القول بأنَّ دور هذه المَلَكَة في الوصول إلى مراتب الكمال يفوق دور الإمكانات، والكفاءات، والذكاء، ونظائرها، بعد أن جعله الله تعالى من أبرز ملاكات الارتقاء لمنصب الإمامة، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: {**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**}(٧٥)، فبين تعالى أنَّ الإمامة مقام موهوب منه، "ثم أنَّه تعالى بين سبب موهبة الإمامة بقوله: {**لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**} (الآية) فَبَيَّنَ أنَّ الملاك في ذلك صبرهم في جنب الله"(٧٦).

وقد أكَّد القرآن الكريم ثانيةً أنَّ الإمامة تعني الهداية بأمر ملكوتي، إذ قال: { **يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**}، "فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إياهم إلى المطلوب بأمرِ الله دون مجرد إراءة

الطريق الذي هو شأن النبي والرسول وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة"(٧٧).

ثالثاً: الوصول إلى أعلى درجات اليقين:

من الملاكات المؤهلة لمرتبة الإمامة بلوغ الإنسان أعلى درجات اليقين، بوصفه مجمعَ الفضائل، الذي يُعدُّ أعلى مرتبة من المعرفة، والدراية، لأنَّ المعرفة لا توصف باليقين، وكذا الدراية، لذا قال الراغب: "يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقينية، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم"(٧٨)، قد أوْلاهُ القرآن عناية خاصة إذ تحدث عنه بما يربو على الثلاث والعشرين مرَّة وبصياغات مختلفة، توزعت على مختلف سور القرآن، وقد بيَّنت أنَّ للقين مراتبَ ثلاث هي:

المرتبة الأولى: مرتبة (علم اليقين): المشار إليها بقوله تعالى: **{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ}**(٧٩)، فبيَّن تعالى أولى هذه المراتب التي تُعَدُّ أقل مراتب اليقين قياساً بغيرها، وتعني: "قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق"(٨٠)، ويمكن تحصيل هذا النوع من اليقين من الاستدلال باللوازم والملزومات، ومثاله الاستدلال على وجود النار من مشاهدة الدخان(٨١).

المرتبة الثانية: مرتبة (عين اليقين): المشار إليها بقوله تعالى: **{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}**(٨٢)، وهي المترتبة الثانية من مراتب اليقين، وتعني "الغنى بالاستدراك عن الاستدلال، وبالمعاينة عن الخبر"(٨٣)، أي أنّها تعني المعاينة والمشاهدة بعين البصر والبصيرة، والاطلاع على ظواهر الاشياء وبواطنها، فلو رأى الشخص دخاناً ينبعث إلى الاعلى فسيكون لديه علم يقين بوجود نارٍ وراء ذلك الدخان كما بيَّنا في المرتبة الأولى، لكنَّه لو

اقترب منها فسيجدها ناراً بالمعاينة والمشاهدة، وهذا هو المُعبَّر عنه بـ (عين اليقين).

المرتبة الثالثة: مرتبة (حق اليقين): كما في قوله تعالى: **{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}**[٨٤]، وهذه الدرجة لا تحصل إلاّ للكمَّل من أولياْ الله تعالى بوصفها أعلى درجات اليقين، وتعنى أنَّ يكون الإنسان انساناً إلهياً، بمعنى: "أن تحصل وحدة معنوية وربط حقيقي بين العاقل والمعقول بحيث يرى العاقل ذاته رشْحَةً من المعقول، ومُرتَّباً به غير منفك عنه، ويشاهد دائماً ببصيرته الباطنية فيضان الأنوار والآثار منه إليه، ومثاله اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير احتراق"[٨٥]، وهذا ما عبَر عنه الإمام علي (ع): "لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقينا"[٨٦].

ومن هذا المنطلق جعل القرآن الكريم بلوغ مرتبة اليقين واحدةً من أهم ملاكات النهوض بأعباء الإمامة الإلهية بقوله: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}**، واليقين منزلة ملازمة لرؤية الملكوت لقوله تعالى: **{وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}**[٨٧]، قال السيد الطباطبائي: "والآية كما ترى تعطي بظاهرها أن إراءة الملكوت لإبراهيم كانت مقدمة لإفاضة اليقين عليه، ويتبين به أن اليقين لا ينفك عن مشاهدة الملكوت"[٨٨]، فإبراهيم (ع) لم يكن مطلعاً فقط على عالم الملك، وهو عالم الشهود، وإنما كشف له عن عالم الملكوت، فاطَّلع على حقائق عالم الباطن، الأمر الذي جعله مؤهلاً لبلوغ مقام الإمامة الإلهية.

وعلية "فالإمام يجب أن يكون إنساناً ذا يقين مكشوفاً له عالم الملكوت"[٨٩]، مطلعاً على أعمال العباد، قال تعالى: **{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}**[٩٠]، فالآية تقرن بين رؤية الله

تعالى ورؤية النبي (ص) والمؤمنين، الأمر الذي يكشف بوضوح أنَّ اطِّلاع المؤمنين على أعمال بعضهم هو سنخ اطِّلاع النبي (ص)، مما يعني أنَّ للصفوة من عباده المؤمنين نحوٌ من الرقابة والإشراف على أعمال الناس، وهذا الأمر مقصور على بعضٍ مما حباهم الله بهذه المزية، وهم المقربون من عباده، وهذا ما اكده القرآن الكريم في قوله: {**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**}(٩١)، في إشارةٍ واضحةٍ إلى أنَّ المقربين من المؤمنين لهم الولاية على الناس، قال عنها السيد صاحب الميزان: "وهذه الآيات تدل على أن المقربين هم الذين لا يحجبون عن ربهم بحجاب قلبي وهو المعصية والجهل والريب والشك، فهم أهل اليقين بالله، وهم يشهدون عليين كما يشهدون الجحيم"(٩٢).

رابعاً: إفاضة العصمة الإلهية:

تُعدُّ العصمة من الكمالات ذات الأثر الخاص في استشعار الرقابة الإلهية، وبلوغ أعلى درجات التقوى، وهي موهبةٌ مفاضةٌ من الله تعالى بشرط تحقق دواعي إفاضتها، وهذا يعني أنَّها ليست من الأمور الكسبية. والقول بالعصمة لا يستلزم القول بالجبر والإلجاء بوصفها خارجة عن دائرة اختيار المعصوم، وإنَّما الاستفادة منها ترجع إلى العبد نفسه، فتدخل ضمن حدود إرادته، فله أن يتمسك بها فيبقى معصوماً، وله أن يتخلى عنها فتسلب منه فلا يكون معصوماً(٩٣)، وخير شاهد على ذلك قوله تعالى: {**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**}(٩٤)، فكان بيده أن يتمسَّك بتلك الآيات، ويستفيد منها، ليَبْلُغ أعلى درجات

الأولياء والصالحين، وبيده أيضاً أن يتخلى عنها، ويُفَرِّطَ بها فيكون حاله كما وصفه القرآن بقوله: {**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ**}، ولا يخفى أنَّه اختار الطريق الثاني بمحض إرادته من دون جبر ولا إلجاء.

وعلى هذا الأساس فالعصمة منّةٌ من الله تعالى، وفضيلة موهوبة للكمَّل من خواصه، قال الشيخ المفيد: "العصمة تفضُّلٌ من الله على من علم أنّه يتمسك بعصمته"(٩٥)، وهي من لوازم الإمامة وفق المنظور الإمامي، فلا يكون الإمام إماماً ما لم يكن معصوماً، لذا قال الشيخ المفيد في (أوائل المقالات): "واتَّفقَتْ الاماميّةُ على إمام الدين لا يكون إلاّ معصوماً من الخلاف لله تعالى"(٩٦).

والقول بتوفر مَلَكة العصمة في الإمام له ادلَّته من القرآن الكريم، قال تعالى: {**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}(٩٧)، فالآية فيها مستوى عال من الوضوح للدلالة على مفهوم العصمة، إذ نَسَبَ تعالى الإمامة إلى نفسه، فقال: (عهدي)، الأمر الذي يعني أنَّ الإمامة ميثاق وعهدٌ من الله لا ينالُ الظالمَ، وقد سئل أحد اساتيذ السيد الطباطبائي عن تقريب دلالة الآية على عصمة الامام، فأجاب: "أن الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام: من كان ظالماً في جميع عمره، ومن لم يكن ظالماً في جميع عمره، ومن هو ظالم في أول عمره دون آخره، ومن هو بالعكس هذا، وإبراهيم (ع) أجل شأناً من أن يَسأل الإمامة للقسم الأول والرابع من ذريته، فبقي قسمان وقد نفى الله أحدهما وهو الذي يكون ظالماً في أول عمره دون آخره، فبقي الآخر، وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره"(٩٨)، والظلم يعني تعدي الحدود الإلهية ولو لمرة واحدة، بدلالة قوله تعالى: {**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ**

الظَّالِمُونَ}[٩٩]، وقوله تعالى:{ **وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّه فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**}[١٠٠]، وأعلى مراتب الظلم الشرك بالله، لقوله تعالى: {**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**}[١٠١]، والظلم بشتى مراتبه، مانعٌ من نيل هذا المنصب الإلهي، حتى في حال التوبة منه، إذ يبقى التائب مشمولاً بقوله تعالى:{**لاَ يَنَالُ عَهْدِيْ الظَّالِمِيْنَ**}، وصلاحيته للارتقاء إلى هذا المنصب تحتاج إلى دليل، والدليل مفقود في هذا المقام[١٠٢].

وللبرهنة أكثر على ضرورة عصمة الإمام نورد الدليل الآتي، قال تعالى: {**أَطِيْعُوْا اللهَ وَأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ وَأُوْلِيْ الأَمْرِ مِنْكُمْ**}[١٠٣]، فقد جَمَعَتْ الآية بين طاعة الله تعالى وطاعة الرسول (ص) وأولي الأمر معاً، وقد اطلقت الآية طاعة أولي الأمر إذ لم يرد فيها ولا في غيرها قيدٌ، "فلا يجوز على الرسول أن يأمر بمعصية أو يغلط في حكم فلو جاز شيء من ذلك على أُولي الأمر لم يَسَعْ إلاّ أن يذكر القيد الوارد عليهم، فلا مناص من أخذ الآية مطلقة من غير أي تقييد، ولازمه اعتبار العصمة في جانب أولي الأمر كما أُعتُبِر في جانب رسول الله (ص)"[١٠٤]، لأنَّ غير المعصوم قد يأمر بمعصية وعندها تَحْرُمُ طاعته فيها.

ومن الجدير بالذكر أنَّ بعضاً ممن لا يقول بعصمة أولي الأمر لم يجدُ بدّاً من الاعتراف بعصمتهم، إذ اهتدى الرازي إلى ضرورة عصمة أولي الأمر؛ لأنَّ القول بعدم العصمة يقتضي متابعتهم على الخطأ بتقدير إقدامهم عليه، إذ قال: "إن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بدَّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ"[١٠٥].

المبحث الثاني

الكمالات الجسمانية وضرورة سلامة البدن من المنفرات

إنَّ الله تعالى أرسل أنبياءه ورسله (عليهم السلام) من أجل هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم، واخراجهم من ظلمات الجهل إلى فضاءات المعرفة ونور العلم، فجعلهم القدوة المثلى، والمثل الأعلى الذي يحتذى به.

وإذا كان الأمر كذلك فلا بدَّ ــ والحال هذه ــ من أن يتصفوا بكل ما يوجب نجاحهم في غايتهم، ولأجل ذلك فقد جمَّلهم الباري جلَّ وعلا بأجمل الصفات، وأحسن الأخلاق، مثل الصدق، والأمانة، والشجاعة، والعفة، وغيرها، لذا قال بحقِّهم: {**وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ**}[١٠٦]، قال الشيخ المظفر: "ونعتقد أنّ النبي كما يجب أن يكون معصوماً يجب أن يكون متصفاً بأكمل الصفات الخلقية والعقلية وأفضلها، من نحو الشجاعة والسياسة والتدبير والصبر والفطنة والذكاء حتى لا يدانيه بشر سواه"[١٠٧].

وذات الصفات يجب توافرها بالإمام من منطلق أنَّ الكلام حول صفات الأوصياء هو فرع الكلام عن صفات الأنبياء (عليهم السلام)، ولأجل ذلك ينبغي اتصافهم بكل ما يوجب انجذاب الناس إليهم، ومن ذلك ما يرجع إلى أبدانهم، وعقولهم، فتحليهم بمثل هذه الصفات، يجعل من انقياد الناس إليهم أمراً يسيراً، ومن ثمَّ تحقيق الغاية التي اختارهم الله تعالى لأجلها، وبخلاف ذلك ينتقض الغرض وتتعطل الغاية، ولأجل ذلك كانت الكمالات الجسمانية وسلامة البدن من المنفرات واحدةً من أبرز ملاكات الاصطفاء والاختيار والبعثة في القرآن الكريم.

ومما تجدر الاشارة إلية أنَّ بعض الصفات الإلهية انعكست بصورة واضحة على بعض أولياء الله تعالى، وقد بين البحث بعضاً منها فيما مرَّ

من الكلام، ومن جملة تلك الصفات التي تجلّت في أوليائه وانبيائه (عليهم السلام) صفة القوة الإلهية، فالله تعالى هو ذو القوة والجبروت، وقد منَّ الله تعالى على بعضِ اوليائه بشيء من قوته، وحباهم بشيء من قدرته، فميزهم بها على غيرهم من خلقه.

وقد قدم لنا القرآن الكريم نماذج من تلك القوة التي تجلت عند بعض خاصته، قال تعالى: {**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**}[١٠٨]، واللافت في الآية أنّها تذكر أنَّ موت ذلك الرجل كان بوكزةٍ واحدةٍ من موسى (ع)، وهي إن دلَّت فإنَّما تدلُّ على القوة الخارقة التي وهبها الله تعالى لنبيه موسى (ع) لتمكنه من النهوض بأعباء الرسالة، وتحمل تبعاتها المتمثلة بمجابهة الفراعة من اعدائه، وهي بحدِّ ذاتها تعدُّ واحدةً من الآيات التي رفد بها تعالى كثير من أنبيائه وأوصيائه.

ومن الاشارة القرآنية الأخرى الدالة على قوة الأنبياء (عليهم السلام) قوله تعالى حكاية على لسان بنت شعيب (ع): {**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**}[١٠٩]، قال السيد الطباطبائي: "وفى حكمها بأنه قويٌ أمين دلالة على أنها شاهدت من نحو عمله في سقي الأغنام ما استدلت به على قوته"[١١٠]، لذا اتخذه شعيب (ع) اجيراً لقوته وأمانته، فإنَّ خير الأجراء من كان جامعاً لهاتين الصفتين.

وقوله تعالى في إبراهيم (ع): {**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ**}[١١١]، تتجلى لنا صفة القوة الموهبة من الله تعالى لأنبيائه وأوليائه، فالآية تعني أنّه مال عليهم ضرباً بيده اليمنى في اشارة إلى أنّها الأقوى على العمل من

الشمال، فالتعبير بـ (اليمين) كناية عن القوة على حدً قول الشيخ الطوسي[١١٢].

ومن ابرز الأمثلة على ضرورة سلامة ابدان الأنبياء والأوصياء () من المنفرات البدنية قوله تعالى: {**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي**}[١١٣]، "وإنما قال ذلك لعقدة كانت في لسانه"[١١٤]، وقد ازال تعالى تلك العقدة بقوله: {**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**}[١١٥]، بوصفها تشكل عاهةً ثابتةً في بدنه، ومانعةً من انجذاب الناس إليه ولو بنسبة معينة، وقد وظفها بفرعون في صراعه مع موسى (ع) بهدف الانتقاص منه، وقد حكى القرآن الكريم ذلك عنه بقوله تعالى: {**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**}[١١٦]، لذا طلب من ربه أن يحلَّ عنه تلك العقدة من لسانه ليتسنى له ممارسة مهام الرسالة بصورة تؤدي إلى انجذاب النفوس تنجذب إليه.

وما ذلك من الأمثلة والاشارات القرآنية التي لا مجال لاستقصائها التي تؤكد بأجمعها على انَّ الكمالات الجسدية بالنسبة للأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) هي من ألزم لوازم الارتقاء إلى مقام النبوة والإمامة، بل هي من أهم الضروريات في عملية الاصطفاء والبعثة، وهذا ما قرره القرآن الكريم بقوله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ**

مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[117]، فالآية المباركة جعلت الكمالات العلمية والكمالات الجسمية بمصاف واحد، ودرجة واحدة، إذ قالت: {**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**}، على حدٍّ سواء، مما يعني أنَّ واحدةَ من أهم ملاكات البعثة، وملاكات الإمامة هي الكمالات على مستوى البدن، فالآية واضحة الدلالة على أنَّ اصطفاء طالوت إنّما كان ناظراً لتوفر تلك الكمالات، "فقد كان أعلم بني إسرائيل في وقته، وأجملهم وأتمهم وأعظمهم جسماً وأقواهم شجاعةً"[118]، الأمر الذي يعني توفر شروط القيادة الناجحة فيه.

وعليه يكون الكمال على مستوى البُنْيَةِ الجسدية أحدَ مقومات بعثة طالوت، فعلى الرغم من انّه لم يكن من اسباط النبوة، ولا من أسباط الملك، فقد كانت النبوَّة في بني لاوي، والملك في اسباط يهوذا، وطالوت كان من أبناء بنيامين بن يعقوب[119]، إلاّ أنَّ الله تعالى اصطفاه عليهم وجعله ملكاً لتوفر مقومات الملك، وتحقق شروط الاصطفاء، لكنَّهم اعترضوا على هذا الاختيار بقولهم: {**أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَاوَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ**}، فقال لهم نبيهم: {**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**}، أيَّ أنَّ الله لم ينظر إلى نسبه، ولا إلى وفرة ماله، وإنّما نظر إلى ما يمتلك من كمالات ولياقات أهلته للارتقاء إلى هذا المنصب، وعليه فالآية فيها من الدلالة ما يكفي على أنَّ الكمالات الجسمانية شرطٌ من شروط بعثة الأوصياء.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ القرآن الكريم استعمل لفظ (البعثة)، بقوله: **{إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}**، مما يعني أنَّ البعثة غير مختصة بالأنبياء فقط، وإنّما هي استحقاقُ كلِّ من توفرت فيه ملاكاتها، وتحققت لديه شروطها، لا سيما بعد ختم النبوة لئلا تنقطع علائق الهداية بين الله تعالى وبين عباده، فعلى الرغم من طلب بني اسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً، إلاّ أنه لم يعين ولم يختار، لأنَّ أمر التنصيب لم يكن من صلاحياته، لذا قال لهم: **{إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}**، معرباً بذلك أنَّ هذا الأمر ليس من صلاحياته، وأنّ مسألة جعل المُلك في شخصٍ ما ليست من مسؤولياته، وإنَّما هي من مسؤوليات الله تعالى، لأجل ذلك عقبت الآية الكريمة بالقول: **{وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**.

كما أنَّه تعالى رفده بالمعجزة، وهي نزول التابوت: **{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِه أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيه سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**[١٢٠]، الأمر الذي يعني أنَّ المعجزة ليست مقصورة على الأنبياء والرسل فحسب، ولأجل ذلك اقترنت ببعثة طالوت بوصفها عملٌ يفيد القطع باصطفائه على بني اسرائيل.

وعليه فالآية فيها اشارة واضحة إلى أنّ الله تعالى يصطفي من يشاء من عباده، ويفيض عليه من فضله، متى ما تحققت شروط الفيض الإلهي، وإن لم يكن عن طريق وحي النبوَّة، وأمثال هذا الفيض قد تحقق في اصطفاء طالوت على بني اسرائيل، وكان أثر ذلك الاصطفاء أن زاده تعالى بسطةً في العلم، فصار العلم عنده مبسوطاً غير منقبضٍ، وفي

الجسم، لتكمل عنده مؤهلات القيادة الناجحة من العلم، والشجاعة، وسلامته البدن من المنفرات.

لذا يمكن توظيف هذه الآية في الاستدلال ضرورة توفر شروط معينة لبلوغ مرتبة الإمامة، فقد رأى الشيخ الطوسي أن تقديم طالوت على قومه كان ناظراً إلى كمالاته العلمية والجسمية، مستدلاً بالآية على شروط الإمام، إذ قال ما نصه: "قال أصحابنا فيها دلالة على أن من شرط الامام أن يكون أعلم رعيته وأفضلهم في خصال الفضل، لان الله تعالى علل تقديمه عليهم بكونه أعلم وأقوى، فلولا أنه شرط وإلا لم يكن له معنى"(١٢١).

الخاتمة

تتمحور نقطة الخلاف الرئيسة بين أكبر طائفتين من طوائف المسلمين حول المبدأ الذي يتم من خلاله تحديد الشخصية التي تَخْلِف النبي (ص) للنهوض بأعباء الخلافة من بعده، وما هي أبرز الصفات والكمالات التي يتحلى بها الإمام، وقد انبثق عن هذا الخلاف جملة من الخلافات، مثل الخلاف على مفهوم عصمة الإمام، وعدد الأئمة، وتعيين شخوصهم ومسمياتهم، وعدالة الصحابة، وأمهات المؤمنين من ازواج النبي (ص)، وما إلى ذلك، وقد توصل الباحث من دراسة موضوع (الكمالات الإنسانية المؤهلة لمنصب الإمامة الإلهية في القرآن الكريم) إلى مجموعة من النتائج اسفرت عنها هذه الدراسة، ومن تلك النتائج:

١. أنَّه لا يوجد في الكتاب العزيز، ولا في غيره مما في أيدي المسلمين من الروايات المروية في الصحاح والمسانيد شيءٌ يرسم الخطوط العريضة لنوع الحكومة وأركانها وخصائصها وصفات الحاكم وبرامجه على وفق

نظرية الشورى، وأنَّ كلَّ استدلالات أصحاب هذه النظرية ليس فيها من الوضوح ما يكفي لاعتمادها مبدأً في رسم معالم الحكم في الدولة الإسلامية.

٢. أنَّ مذهب أهل الحل والعقد في تعيين الإمام بعد النبي (ص) هو مذهب غير واضح المعالم بعد أن اختلفت كلمة العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة، كما أنَّ سيرة المسلمين تشهد بعدم اعتماد هذا المبدأ في اختيار الحاكم.

٣. إنَّ نظرية التنصيص على الإمامة من الله تعالى هي أصحُّ النظريات في تنصيب الإمام بصفته قائم مقام النبي (ص) لوفرة النصوص عليها من الكتاب والسنة الصحيحة.

٤. أنَّ الإمام لا يكون إماماً ما لم تتوافر فيه مجموعة من الكمالات على الصعيد الروحي والجسدي؛ لأنَّ الإمامة منصب ربّاني لا يكون إلاّ بجعلٍ من الله تعالى على حدِّ جعل النبوة والرسالة.

٥. تبين أنَّ الإمام شخص هادي بأمرٍ ملكوتي، مطَّلعٌ على عالم الغيب، لا تخفى عليه خافية، مطَّلع على أعمال العباد على حدِّ اطِّلاع النبي (ص).

الهوامش:

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ٢٤.

(٢) المائدة، ٦٧.

(٣) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٤/ ٨٣.

(٤) ان عملية تتبع الروايات الخاصة بشأن نزول هذه الآية، يتطلب وقتاً كبيراً ومؤلفاً خاصاً وهذا يخرج البحث عن وجهته الصحيحة، وعليه يكتفي الباحث بالإحالة لمن اراد الاستزادة إلى كتاب (الدر المنثور للسيوطي)، و وكتاب (الغدير للعلامة الأميني)، حيث ينقل في هذا الكتاب حديث الغدير عن ١١٠ من صحابة رسول الله (ص) مع اسنادها، وعن ٨٤ من التابعين، وعن ٣٦٠ من العلماء والأدباء المسلمين المعروفين، وكتاب (إحقاق الحق للقاضي نور الدين التستري)، وكتاب (المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين)، وكتاب (دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر).

(٥) ظ: تفسير السمرقندي، ١/ ٤٢٨.

(٦) المائدة، ٦٨.

(٧) النساء، ٥٩.

(٨) عقائد الإِمَامِيَّة، محمد رضا المظفر، ٧٣.

(٩) البقرة، ١٢٤.

(١٠) البقرة، ٣٠.

(١١) ص، ٢٥.

(١٢) القصص، ٦٨.

(١٣) القصص، ٥.

(١٤) الفرقان، ٧٤.

(١٥) لمعرفة المزيد ينظر: نظرية الإمامة لدى الشِّيَعة الاثني عشرية، أحمد محمود صبحي، ١٩.

(١٦) ظ: الأحكام السلطانية، الماوردي، ١٥، ١٦.

(١٧) المواقف، الايجي، ٣٩٥/٣.

(١٨) شرح المقاصد، التفتازاني، ٢/ ٢٧١.

١٩ لمزيد من البيان حول مفهوم الإمامة من منظور أهل السنة ينظر: المواقف، الإيجي، ٥٤٧/٣، ومقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، ٢٣٩.

(٢٠) مفاهيم من القرآن، السبحاني، ١٠، ٨٩.

(٢١) ظ: المصدر نفسه، ١٠، ٨٩.

(٢٢) ال عمران، ١٥٩.

(٢٣) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢/ ٧٤٨.

(٢٤) الشورى، ٣٨.

(٢٥) مفاهيم من القرآن ، السبحاني، ١٠/ ١٠٠.

٢٦ ظ: شرح المواقف، الايجي، ٨/ ٣٥١.

(٢٧) ظ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١ / ١٨٥.

(٢٨) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ٢/ ٧، اسد الغابة، ١/ ٢٤١، ٢٤٢.

(٢٩) ظ: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/ ٥١٥ ـ ٥٢٩.

(٣٠) تاريخ الطبري، الطبري، ٢/ ٢٩٦، الكامل، ابن الاثير، ٢/ ٢١٣،

(٣١) المنافقون، ٤.

(٣٢) النساء، ٨١.

(٣٣) النساء، ٨٣.

(٣٤) التوبة، ٤٨.

(٣٥) الحشر، ١١.

(٣٦) النساء، ١٤٥.

(٣٧) ظ: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/ ٦٥٩ ــ ٦٦٠، ظ: مفاهيم من القرآن، السبحاني، ١٠/ ٨٩ ــ ٩٧.

(٣٨) الشفاء، ابن سينا، ٢/ ٤٥٢.

(٣٩) مفاهيم من القرآن، السبحاني، ٢/ ٣٤.

(٤٠) الحج، ٤١.

(٤١) ظ: مفاهيم من القرآن، السبحاني، ٢/ ١٤ ــ ٧٦.

(٤٢) الذاريات، ٥٦.
(٤٣) الاعراف، ٥٩.
(٤٤) الأنبياء، ٩٢.
(٤٥) الأنبياء، ٢٥.
(٤٦) الحجر، ٩٩.
(٤٧) عيون الحكم والمواعظ، الليثي الواسطي، ٣٤٧.
(٤٨) ظ: ميزان الحكمة، الريشهري، ١/ ٧٥٤.
(٤٩) الاسراء، ١١٠.
(٥٠) ال عمران، ٤٩.
(٥١) الأنبياء، ١٠٧.
(٥٢) المختصر، المحقق الحلي، ٢٢٨، ٢٢٩.
(٥٣) النمل، ٥٩.
(٥٤) فاطر، ٣٢.
(٥٥) ال عمران، ٤٣.
(٥٦) الأنبياء، ٧٣.
(٥٧) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٠/ ٢٠٥.
(٥٨) يس، ٨٣.
(٥٩) القمر، ٥٠.
(٦٠) الإمامة الإلهية، الشيخ محمد السند، ١/ ٢٧٨.
(٦١) ظ: الميزان، الطباطبائي، ١/ ٢٧٤.
(٦٢) يونس، ٣٥.
(٦٣) الميزان، الطباطبائي، ١/ ٢٧٤.
(٦٤) المصدر نفسه، ١/ ٢٧٤.
(٦٥) ظ: الميزان، الطباطبائي، ١٤/ ٣٠٥.
(٦٦) الكافي، الكليني، ٢/ ٨٩.
(٦٧) المصدر نفسه، ٢/ ٨٧.

(٦٨) الزمر، ١٠.
(٦٩) طه، ١٣٢.
(٧٠) لقمان، ١٧.
(٧١) بحار الأنوار، المجلسي، ٤٣/٥٧.
(٧٢) جامع السعادات، النراقي، ٣/ ٢٢٩.
(٧٣) البقرة، ١٢٤.
(٧٤) تفسير القمي، القمي، ١/ ٥٩، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢/ ١١٧.
(٧٥) السجدة، ٢٤.
(٧٦) المصدر نفسه، ١/ ٢٧٢.
(٧٧) الميزان، الطباطبائي، ١/ ٢٧٢.
(٧٨) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ٨٩٢.
(٧٩) التكاثر، ٥.
(٨٠) تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني، ٣/ ٥٤.
(٨١) ظ: جامع السعادات، النراقي، ١/ ١٢٨.
(٨٢) التكاثر، ٧.
(٨٣) تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني، ٣/ ٥٤.
(٨٤) الواقعة، ٩٥.
(٨٥) جامع السعادات، النراقي، ١/ ١٢٨.
(٨٦) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ١/ ٣١٧.
(٨٧) الانعام، ٧٥.
(٨٨) الميزان، الطباطبائي، ١/ ٣٧٣.
(٨٩) المصدر نفسه، ١/ ٣٧٣.
(٩٠) التوبة، ١٠٥.
(٩١) المطففين، ١٧ ـ ٢١.
(٩٢) الميزان، الطباطبائي، ١/ ٣٧٣.
(٩٣) مفاهيم من القرآن، السبحاني، ٥/ ٥٧، ٥٧.

(٩٤) الاعراف، ١٧٥، ١٧٦.
(٩٥) تصحيح اعتقادات الإمامية، المفيد، ٦١.
(٩٦) اوائل المقالات، المفيد، ٣٩، ٤٠.
(٩٧) البقرة، ١٢٤.
(٩٨) الميزان، ١/ ٢٧٤.
(٩٩) البقرة، ٢٢٩.
(١٠٠) الطلاق، ١.
(١٠١) لقمان، ١٣.
(١٠٢) ظ: الالهيات: ٤ / ١٢٢.
(١٠٣) النساء، ٥٩.
(١٠٤) الميزان، الطباطبائي، ٤/ ٣٩١.
(١٠٥) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، ١٠/ ١٤٤.
(١٠٦) الانعام، ٨٦.
(١٠٧) عقائد الإمامية، المظفر، ٥٥.
١٠٨ القصص، ١٤.
١٠٩ القصص، ٢٥.
١١٠ الميزان، الطباطبائي، ٢٦/١٦.
١١١ الصافات، ٩٢.
١١٢ ظ: التبيان، الطوسي، ٤٩١/٨.
١١٣ طه، ٢٥ ــ ٢٧.
١١٤ تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ٤٣٦/٧.
١١٥ طه، ٣٥.
١١٦ الزخرف، ٥١،٥٠.
(١١٧) البقرة، ٢٤٦، ٢٤٧.
(١١٨) مجمع البيان، الطبرسي، ١٤٢/٢
(١١٩) ظ: تاريخ الطبري، الطبري، ١/ ٣٣٦.

(١٢٠) البقرة، ٢٤٨.

(١٢١) التبيان، الطوسي، ٢/٢٩٠.

جريدة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

١. الاحكام السلطانية، محمد بن الحسين الحنبلي الماوردي (ت٤٥٨ه)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١ه.

٢. الارشادات والتنبيهات، علي حسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٨ه)، تحقيق: نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، شرح الشرح: قطب الدين محمد بن محمد أبي جعفر الرازي، نشر البلاغة، قم ــ ايران، ١٣٨٣ ش.

٣. اسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين علي محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠ه)، انتشارات اسماعيليان، طهران، (د.ت).

٤. الالهيات، جعفر السبحاني، الدار الاسلامية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط/١، ١٤٠٩ه ــ ١٩٨٩م.

٥. الإمامة الإلهية، الشيخ محمد السند، دار الميرة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط/١، ١٤٣٣ه ـ ٢٠١٢م.

٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (د ت).

٧. اوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣ه)، تحقيق: ابراهيم الانصاري، دار المفيد، بيروت ـ لبنان، ط/٢، ١٤١٤ه ـ ١٩٩٣م.

٨. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١ه)، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣ه ـ ١٩٨٣م.

٩. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ه)، تحقيق: نخبة من العلماء، ط/٤، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م.

١٠. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن المعروف بأبن عساكر (ت٥٧١ه)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، ١٤١٥ه.
١١. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط/١، ١٤٠٩.
١٢. تصحيح اعتقادات الإمامية، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣ه)، تحقيق: حسن دركاهي، ط/٢، ١٤١٤ه ــ ١٩٩٣م.
١٣. التعريفات، علي بن محمد بن علي الحنفي المعروف بالشريف الجرجاني (ت٨١٦ه)، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، مصر، دار الجرجاني، (د ت).
١٤. تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني (ت١٣٩٨ه)، تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار السيد الخميني، ط/١، ١٤١٨ه.
١٥. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، (ت٣٢٩ه)، صححه وقدم له وعلق عليه: طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم ــ ايران، (د ت).
١٦. التفسير الكبير، (تفسير الرازي)، محمد بن عمر بن الحسن المعروف بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦ه)، ط/٣، (د ت).
١٧. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي (ت١٢٠٩ه)، تحقيق: السيد محمد كلنتر، تقديم: محمد رضا المظفر، (د.ت).
١٨. الجامع لأحكام القرآن، أحمد بن عمر بن إبراهيم المالكي القرطبي (ت٦٧١ه)، تحقيق: تصحيح: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، ١٤٠٥ه ــ ١٩٨٥م.
١٩. تفسير السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣ه) تحقيق: د. محمد مطرجي، (د ت).
٢٠. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام (ت٢١٨ه)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، الأزهر ــ مصر، ١٣٨٣ه ــ ١٩٦٣م.

٢١. الشافي في الامامة، الشريف علي بن الحسين المرتضى (ت٤٣٦ه)، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مؤسسة الصادق، طهران ـ ايران، ط/٢، ١٤١٠ه.
٢٢. شرح المقاصد، محمد ابو الوفا التفتازاني (ت٧٩١ه)، ط/١، ١٤٠١ه ـ ١٩٨١م.
٢٣. الشفاء/ الإلهيات، ابن سينا تحقيق: محمد يوسف موسى، سليمان دنيا، سعيد زايد، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ـ ايران، ١٤٠٤ه.
٢٤. عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر (ت١٣١٨ه)، تحقيق: حامد خفتي داوود، انتشارات انصاريان، قم ـ ايران، (د.ت).
٢٥. عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، (ت٣٨١ه)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٦. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (ت ق٦)، تحقيق حسين الحسيني البرجردي، دار الحديث، قم، (د. ت).
٢٧. الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٩ه)، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط/٥، ١٣٦٣ش.
٢٨. الكامل في التاريخ، عز الدين أبي الحسن علي أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠ه)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ه ـ ١٩٦٦م.
٢٩. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨ه)، تحقيق: تعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنا، ط/١، ١٤١٥ه ـ ١٩٩٥م.
٣٠. المختصر، نجم الدين جعفر بن الحسن المعروف بالمحقق الحلي (ت٦٧٦ه)، مؤسسة البعثة، طهران، ط/٢، ١٤٠٢ه.
٣١. مفاهيم القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط/١، ١٤٣١ه ـ ٢٠١٠م.

٣٢. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، منشورات ذوي القربى، قم ـ ايران، ط/٦، ١٤٣١ه، ٨٩٢.
٣٣. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، المعروف بابن خلدون (١٤٠٦ه)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢/، ١٤٠٨ه ــ ١٩٨٨م.
٣٤. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨ه)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ــ لبنان، (د. ت).
٣٥. مناقب آل أبي طالب، أبن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٩م .
٣٦. المواقف، عضد الدين أبو الفضل عبد الرحمن أحمد بن عبد الغفار الايجي، (ت٧٥٦ه)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ــ لبنان، ط/١، ١٤١٧ه ــ ١٩٩٧م.
٣٧. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، ط/١، ١٤١٦ه.
٣٨. الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ت).
٣٩. نظرية الإمامة لدى الشِّيعة الاثني عشرية، أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية، بيروت ــ لبنان، ١٤١١ه ـــ ١٩٩١م.
٤٠. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء لتراث، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث بقم المشرفة، قم المقدسة، ط/٢، ١٤١٤هـ.